

الدائرة اللغوية والثقافية في فكر محمد أركون

The Linguistic and Cultural Sphere in the Thought of Mohammed Arkoun

محمد شاشو¹¹ جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، mohamed.chachou@univ-mascara.dz

تاريخ النشر: 2026/06/12

تاريخ القبول: 2026/05/08

تاريخ الاستلام: 2026/03/11

ملخص:

يطرح "محمد أركون" مفهوم "الدائرة اللغوية والثقافية" بوصفه أحد المفاهيم الضرورية لفهم الفكر العربي-الإسلامي المتشكل طيلة قرون وقرون، حيث يطرق بالدراسة والتحليل علاقة اللغة بالثقافة في تشكيل هذا الفكر. بالنسبة لأركون لا يقتصر دور اللغة على التعبير والتواصل، بل هي الحاضنة والسياق الذي يُبنى عبره المعنى وتنبتق بواسطته آليات التفكير. إن توجه "أركون" إلى هذا المفهوم ضمن مشروعه الفكري "نقد العقل الإسلامي"، هو توجه نحو مقارنة نقدية تركز على كل مكتسبات العلوم والمناهج الحديثة مثل: اللسانيات، والأنثروبولوجيا، وعلم التاريخ.. إلخ، وفق ابستمولوجيا حوارية، غرضها "دراسة التراث"، أي نقد "القراءات التقليدية" المكرسة لإستمارية النصوص المغلقة المهيمنة على الساحة الفكرية-العربية، الراضية للانفتاح على التحولات المعرفية والإنسانية التي تشهدها البشرية. كلمات مفتاحية: الدائرة، اللغة، الثقافة، الفكر، العقل.. إلخ.

Abstract:

The sphere of linguistics and intellect in the ideas of Mohammed Arkoun discusses the close relationship between language and intellect in the development of human knowledge, especially in Islamic cultures. Mohammed Arkoun has emphasized the idea that language is not only a tool for expression but also a conceptual tool through which meaning is constructed and ways of thinking are formulated. It is through this idea that he advocates for the critical reading of the Islamic heritage based on the analysis of language and history. In addition, there is the need to understand the Islamic text within its cultural and social context

in order to understand the deeper layers of meaning accumulated through the course of history.

In his intellectual endeavor, Mohammed Arkoun has employed contemporary methods such as linguistics, anthropology, and the history of ideas with the objective of expanding the horizons of thought in Islam and injecting critical scholarly methods into the study of the Islamic heritage. He has also criticized the closed and traditional approach to the reading of religious texts that impedes the dynamism of interpretation and *ijtihad*. He has, therefore, proposed the need for a constructive dialogue between the Islamic heritage and modern knowledge with the objective of promoting an open-minded approach to the relationship between language and thought in Islamic civilization.

Keywords: The sphere; language; intellect; The sphere.

1. مقدمة:

لقد كان "لواقع الحال المُعاش" الأثر البالغ في تأسيس "أركون" لمشروعه الفكري والنقدي، والذي سماه "نقد العقل الإسلامي"؛ هذا "الواقع" يحكي تجربة إنسانية لها خصوصيتها الاجتماعية وخلفيتها الثقافية والتاريخية. لعل هذا ما يفسر، ومن وجهة نظر ابستمولوجية، توجه "أركون" نحو طرق كل ما انتجته علوم الإنسان والمجتمع من عدة مفهومية وأدوات منهجية لفهمه وكشف الآليات المتحكمة في انبثاقه، وبالتالي فهم انتاج الحقيقة التي يُعاد إنتاجها كل مرة حتى وإن اختلفت السياقات، أي تلك المتحكمة والمحافظة على الدائرة المعرفية لهذا العقل. بعبارة أخرى يتوجه أركون، مستعينا بالتراث العلمي، نحو مختلف اللغات والثقافات والأنماط المعرفية التي احتلت المكان وساهمت في تشكيل أنماط التفكير الخاصة بها، والتي، وبمرور الوقت، تحولت بالتدرج لأنساق معرفية مغلقة ومنكفئة على ذاتها، عبرها تُنتج الحقيقة ويعاد إنتاجها كل مرة بما يحفظ ديمومتها وديمومة الحال واستمراريته، وهذا يعني أن "أركون" عمل على استهداف كل ما من شأنه أن يتحكم في انتاج

الحقيقة التي تنبثق منها الأفعال والسلوكيات الإنسانية وأنماط المعيش في دائرته التي يحيا فيها.

من هنا، نفهم ضرورة توجه أركون نحو مفهوم "الدائرة اللغوية والثقافية" بوصفه أحد المفاتيح التي اتاحت له الإمكانية لفهم الواقع المتأزم الذي تعاني منه المجتمعات العربية والإسلامية؛ لقد توجه بالبحث والدراسة نحو اللغة والثقافة، للكشف عن الشروط الموضوعية والتاريخية التي انبثقت عنها "الحقيقة". هذا يعني أن اللغة التي يعينها ويستهدفها "أركون" هي تلك اللغة التي تتجاوز إطار "التعبير" أو "التواصل" نحو إنتاج المعنى والتحكم فيه عبر تفاعلها مع مختلف السياقات الثقافية والاجتماعية التي تنتمي إليها، وعبر علاقات القوة والهيمنة التي أطرتها. إن التوجه نحو مفهوم "الدائرة اللغوية والثقافية" يفتح الآفاق لفهم لعبة الشرعنة والإقصاء التي اتبعتها دوائر الفكر العربي والإسلامي، بتوجيه واتفاق مع دوائر القوة والقرار عبر مراحل مختلفة من تاريخ مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

وعليه، وبالنسبة لأركون، لا يمكننا فهم واقعنا العربي الإسلامي إلا من خلال مساءلة "التراث" واستنطاقه، ولا يمكننا "فهم" هذا الأخير إلا عبر مفهوم "الدائرة اللغوية والثقافية" التي أسست له وتحكمت في البنى وآليات التفكير التي أنتجت، وهذا ما يدفعنا إلى طرح الإشكالية في الأسئلة التالية: ما مفهوم الدائرة اللغوية والثقافية؟ وما هي حدودها المعرفية والإبستمولوجية؟ وإلى أي حد ساهمت الدائرة اللغوية والثقافية في بناء رؤية نقدية ساهمت بشكل مباشر في إعادة قراءة التراث الإسلامي وتفكيك آليات إنتاج المعنى داخله؟

2. "محمد أركون" والرؤية الإبستمولوجية لمشروعه الفكري:

قبل الولوج إلى مفهوم "الدائرة اللغوية والثقافية"، وحتى يسنى لنا فهمها ضمن الإطار الفكري العام الذي تنتهي إليه، علينا بداية التوجه إلى الأسس الإبستمولوجية التي يركز عليها المشروع الفكري والنقدي الذي نادى به "أركون". إن الغاية التي ينشدها "الرجل" هنا من وراء مشروعه "نقد العقل الإسلامي" تتجاوز القراءات التقليدية والتفسيرية التي تعودنا عليها، والتي بقيت اجتهادات حبيسة للأطر الفقهية واللاهوتية السائدة والهيمنة منذ القرون الوسطى، نحو فتح ورشات "بحث علمية" سعت (ولا زالت) إلى الكشف عن المشروطة

الاجتماعية والتاريخية المنتجة له، وعن الميكانيزمات (الآليات) التي رسمت وصممت بناءه "الابستيمي"، وحسمت تشكّله التاريخي. يتحدث "هاشم صالح" عن هذا "المشروع" فيقول: "كل التراث العربي - الإسلامي منذ البداية وحتى اليوم ينبغي أن يتعرض لغربة عامة شاملة، من أجل معرفة بنيته الداخلية، أو كيفية تشكّله التاريخية طيلة القرون الستة الأولى بشكل خاص. فما جفَّ منه وتخشَّب ومات نظرحُ ونُبقي فقط على الجوهر الروحي والأخلاقي لرسالة الإسلام العظيم" (أركون، 2009)؛ هذا يعني التوجه من خلال قراءة نقدية "تنهل" من كل مكتسبات "علوم الإنسان والمجتمع" إلى تعرية البنى المعرفية والرمزية التي أسست "للعقل الديني" أو كما يسميه "أركون" "العقل الإسلامي"، وحدود إمكاناته وآفاقه ومعقوليته، "فالمعرفة التي نمتلكها عن الفترة التأسيسية للتراث الإسلامي لا تزال لا هوتية - أسطورية تضعه فوق التاريخ" (أركون، 2009).

الملاحظ، ومنذ الوهلة الأولى، أن هذا "المشروع" مبني على "وعي ابستيمولوجي" عمل على تجاوز القراءات والمناهج التقليدية في دراسة التراث، سواء تلك التي انتجتها الدوائر الدينية، أي تلك المنبثقة من الداخل، أو تلك التي جاءت بها مخابر ودوائر البحث "الاستشراقية" في سياقاتها وأهدافها الكولونيالية والاستعمارية. فالأولى، ومن وجهة نظر أركونية، بقيت امتداداً "للفكر الأرثوذكسي"، أي ضمن الإطار الخطي للحقيقة، الذي يرى في النصوص التراثية كما لو أنها أُسُسٌ ومعطيات مكتملة، وليست نصوصاً انتجتها عوامل تاريخية وثقافية معقدة. أما الثانية، ورغم قيمتها الابستيمولوجية، إلا أنها بقيت بعيدة عن مسألة "إنتاج المعنى"، أي أنها لم تسعى إلى البحث عن هذه المسألة من زاوية ابستيمولوجية أشمل تأخذ بالأبعاد الأنثروبولوجية واللسانية والسيميائية. "إن عدم اهتمام معظم المستعربين وعلماء الإسلاميات الغربيين بدراسة إنتاج المعنى ومستوياته هذه يدل إلى أي حد يبقون هامشين بالنسبة لتقدم البحث العلمي الذي يطبقه الغربيون على مجتمعاتهم بالذات" (أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، 1996).

لعلنا بهذا أمام علم جديد أخذ على عاتقه هذه المهمة سمّاه "أركون" الإسلامية التطبيقية"، علم يمزج ويستثمر في "التراث العلمي الإنساني" ومكتسباته، عبر مقارنة ابستمولوجية حوارية؛ قراءة تجمع بين التاريخ والأنثروبولوجيا واللسانيات والتحليل النفسي والسيميائيات. "إن الإسلاميات التطبيقية -والقول هنا لأركون- هي ممارسة علمية متعددة الاختصاصات. وهذا ناتج عن اهتماماتها المعاصرة (فهي تريد أن تكون متضامنة مع نجاحات الفكر المعاصر ومخاطره) والمتطلبات الخاصة لموضوع دراستها" (أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، 1996).

لقد توجه "أركون" إذن، ومن خلال مقارنة ابستمولوجية تطبيقية، إلى قراءة النصوص وتفحص المرجعيات الإسلامية "المهيمنة" لتعريفها، والكشف عن القوى المتضامنة المشرعنة لها، وعن أنظمة الخطاب التي قدمتها على تأويلات أخرى أُقصيت ووضعت في دائرة "اللامفكر فيه" أو "الممنوع التفكير فيه"، فالرهان "الابستمولوجي" هنا يتجاوز دراسة "ما قيل" نحو استقصاء "الشروط الإبستمية" المنتجة لهذا القول، ما يعني التوجه نحو البحث في الشروط اللغوية والتاريخية والثقافية التي أسست بالتدرج لأشكال خاصة من الفهم والتأويل، أي لأنماط خاصة لإنتاج الحقيقة. إن العقل الإسلامي، كما تجلّى في أدبيات أركون، لم يولد مكتمل البنية، ولم يكن "قوة ناطقة" ثابتة منذ البداية، بل نعى وتطور وتشكل ضمن سياقات تاريخية محددة، وعبر ألعاب وصراعات التأويل، وانطلاقاً من أهداف ومنافع السلطة. واللغة/الكلمة هي الأداة الحامل والمثبت للمعاني، والثقافة هي الوسط الذي تحبك فيه ومنه المعاني؛ منها السيادة، وعبرها تستمد الشرعية وهذا بتحويلها إلى مرجعيات معيارية.

3. في مفهوم الدائرة اللغوية والثقافية ووظيفتها النقدية:

يتضح، تبعاً لما سبق، أن "الضرورة الإبستمولوجية" دفعت "محمد أركون" لأن يطرق مصطلح "الدائرة اللغوية والثقافية"، بوصفه الأداة المفهومية والتحليلية القادرة على فهم العلاقة الجدلية والتفاعلية بين اللغة والثقافة التي أُنتجت عبرها أنماط الفهم

والحقيقة في سياقاتها العربية الإسلامية؛ لقد كان هدف "أركون" الحفر في العمق للكشف عن البنى الخفية والأساسية التي أطّرت وحكمت تبلور الفكر العربي-الإسلامي طيلة تاريخه. فالأمر، في نظره، لا يتوقف على نقد "المقولات" أو تصويب "المفاهيم"، بل تعرية المنظومة الرمزية التي أسست وقوّلت هذا الفكر، الذي داوم على إعادة انتاج ذاته كل مرة ضمن شروط تاريخية وثقافية محدّدة.

في مقاله الموسوم بـ "أي فكر عربي حديث نريد؟" (أركون، أي فكر عربي حديث نريد؟، والذي كان ضمن كتاب ضم العديد من المقالات وُسِمَ بـ "الحدثاثة والحدثاثة العربية"، يُعرّف "أركون" "الدائرة اللغوية والثقافية" فيقول: "مصطلح الدائرة اللغوية والثقافية *logosphere* مشكل من كلمتين: لوغوس: أي نطق أو فكر أو عقل، ودائرة *sphère*" (أركون، أي فكر عربي حديث نريد؟، 2005)؛ وحتى نستطيع فهم مصطلح "اللوغوس" ضمن هذا المفهوم يتوجه "أركون" إلى ما يقابله، ونعني بذلك مصطلح "الميتوس" (الأسطورة)؛ حيث تعتبر "الدائرة اللغوية والثقافية" الإطار العام والبنية التفاعلية التي تتعالق فيها اللغة باعتبارها أداة وآلية (ميكانيزم) لإنتاج المعنى، مع الثقافة باعتبارها المؤسسة الرمزية التي يصاغ منها هذا المعنى والخلفية الشرعية له. "كل تاريخ الفكر البشري هو عبارة عن توتر صراعي خلاق بين الميتوس واللوغوس، أو بين العقل والأسطورة. وهذه التوترات الصراعية والتثقيفية الغنية بينهما هي التي غدّت الفعاليات الخلاقة¹ للروح البشرية، والتي ألهمتها ووجهتها على مدار التاريخ" (أركون، أي فكر عربي حديث نريد؟، 2005)، وهذا يعني أن المعنى لا يُنتج من العدم، ويجب أن يفهم ضمن الإطار العام للأشكال التعبيرية والرمزية المتداولة التي ينتمي إليها.

علينا أن نفهم هنا أن العلاقة بين اللغة والثقافة، كما يتصورها أركون، ليست علاقة تفاعلية مباشرة، أي أنها ليست خطية سببية، أين تصبح اللغة تعبيرا بسيطا ومباشرا للثقافة أو العكس؛ إنها علاقة تفاعلية مركبة ضمن دائرة مغلقة نسبيا، منها يستمد الانسان

تصوراته ومفاهيمه عن العالم، وعن الوجود، وعن الإنسان نفسه، حتى يستطيع من خلالها الاندماج في مجتمعه الذي يحيا فيه؛ وفي هذا (حتى نفهم هذا المفهوم بصورة أعمق) يعطينا "أركون" مثالا عن الدوائر اللغوية والثقافية التي نزل فيها الوحي، والتي تشتبك وتتشابه في فعاليات الروح مع "دوائر إنسانية" أخرى، حيث يقول: "فمثلا نلاحظ أن القرآن يستعيد فكرة سفر التكوين التي تقول في البدء كانت الكلمة، أي الكلام، وعلم آدم الأسماء كلها. المقصود أنه علمه كيفية الاستعمالات اللغوية والسميائية الدلالية للعقل المنطقي والأسطورة القصصية السردية لكي يفهم الإنسان كل الأفعال والأشياء والتجليات الموجودة في العالم الموضوعي، بما فيها الإنسان منظورا إليه ومفسرا من قبل الإنسان" (أركون، أي فكر عربي حديث نريد؟، 2005)، وهذا يعني أن هذه الدائرة تنبثق منها المعايير المرجعية لأفعالنا، أي أنها تؤطر المعيش اليومي الخاص بنا وتتحكم فيه عبر تحديد السلم القيمي والإطار المعياري الخاص به. بعبارة أخرى يتغذى الإنسان روحيا من الوسائط الرمزية التي تنتمي لدائرته اللغوية والثقافية، حتى تكتمل شخصيته ونضجه الفكري ليصبح فاعلا في مجتمعه.

إن "الدائرة اللغوية والثقافية" هي ذلك العالم الكلي المشكل من اللوغوس (العقل) واللغة كحامل بنيوي لمعانيها، والثقافة كتشكيل رمزي خاص ومتعلق بها، منها تنبثق التصورات والرؤى، وعبرها تتحدد منظومة القيم والسلم الواقعي الخاص بها، وإذا ما نظرنا إليها ضمن بعدها التاريخي والإنساني، وجدنا أنفسنا أمام مجموعة من "الدوائر" لا تنتهي تشكل الدائرة اللغوية والثقافية الإنسانية، مثل: الدائرة اللغوية والفكرية الصينية. الإغريقية، أو اللاتينية... إلخ؛ وبالعودة إلى "الدائرة اللغوية والثقافية العربية" وجدنا "استعمالين متميزين لهذه المزدوجة، استعمال عقلاني مركزي واستعمال على طريقة الخطاب النبوي. من هنا نقول بأن الدائرة اللغوية والثقافية العربية مرتبطة سيميائيا، ومعنويا، وبلاغيا، ومفهوميا، بالدائرتين اللغويتين الثقافيتين السامية والهندية - الأوروبية الأكثر اتساعا وشمولا (أي دائرة الخيال ودائرة العقل المنطقي)" (أركون، أي فكر عربي

حديث نريد؟، 2005)، وهي دائرة لها خصوصيتها، وهذا يعني، أنها وضمن مسارها التاريخي والإجتماعي، أدخلت قطائع جعلت منها دائرة مستقلة إلى حد ما.

إذن، "الدائرة اللغوية والثقافية"، وباستعارة ابستمولوجية، أشبه بنسق رمزي يؤطر التفكير ويتحكم فيه، من خلاله ترسم حدود كل ما هو معقول أو مشروع داخل المجتمع، ما يعني تحديده لدائرتي "المفكر فيه" و"اللامفكر فيه"؛ وفق هذا التصوّر نجدها مساهمة بصورة مباشرة في تشكيل "العقل الإسلامي" عبر سياقاته التاريخية الخاصة به، أين تحالفت فيه السلطة السياسية مع المؤسسة الدينية لتثبت مساراً تأويلياً معيناً للنصوص، لتحول إلى حقائق نهائية؛ وبالتقدم أصبحت هذه التأويلات منظومات فكرية مغلقة تستمد مشروعيتها من إرث تاريخي ممتد، معتمدة في ذلك على المؤسسات التعليمية طيلة قرون، أخذة بذلك صفة "الرسمية". وهكذا أصبحت اللغة التراثية تعبر عن ذاكرة رمزية معينة، لا تحفظ المعنى وتنقله فحسب، بل تفرض أفقاً خاصاً ومحددًا للفهم.

إذن، لا يتوقف "أركون" عند حدود مفهوم "الدائرة اللغوية والثقافية" التي أتاحت له إمكانية التعرف ووصف حالة الانسداد التي يعاني منها الفكر الإسلامي؛ إنه يستعملها كأداة نقدية مكنته من كشف تاريخية هذا الفكر، وتبيين طابعه النسبي. فاللغة كآلية، ووفق ما سبق، تعتبر ممارسة داخل التاريخ لا خارجه، والثقافة بوصفها أشكالاً تعبيرية ورمزية يمكن إعادة بناؤها والتحكم فيها، وهذا يعني أن لا مُنتج فكري ثابت أو مقدس، وفي النهاية هو بناء انساني تشكل تاريخياً، يمكن "تفكيكه" وإعادة بناؤه. من هنا تبرز قيمته (نقصد مفهوم الدائرة اللغوية والثقافية) كأداة نقدية: إنه يأخذنا من ظاهر النصوص إلى خلفياتها المعنوية المؤسسة لها، وهذا ما يعبر عنه أركون صراحة حين يقول: "وإذا ما قمنا بهذه التحليلات والاستعدادات النقدية لمعجم شائع ومنتشر، استطعنا أن نفهم مدى ضرورة تبني الإشكالية الأنثروبولوجية أو المنظور الأنثروبولوجي وفائدتهما من أجل الدراسة الحديثة للأديان" (أركون، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال.. أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، 1995). هذا

النوع من الدراسات يبين مدى ارتباط الفكر ومن ورائه المجتمعات العربية الإسلامية بماضيها الثقافي والإنساني، إنها تتيح "لنا أيضا أن نكتشف إلى أي مدى تبدو مجتمعاتنا (...) خاضعة لآلية الأسطورة والأدلجة" (أركون، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال.. أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، 1995).

4. اللغة والمعنى ضمن الإطار الفلسفي والأنثروبولوجي.. أو في خضم رهانات الحقيقة:

ضمن هذا الطرح الذي يتبناه "أركون"، تجد اللغة، واللغة العربية التراثية تحديداً، نفسها أمام مقارنة مختلفة²، مقارنة تمزج بين النقد الإبيستيمولوجي من جهة، والمسألة الأنثروبولوجية-التاريخية من جهة أخرى. ف"التحليل الألسني أو السيميائي الدلالي يساعدنا على إقامة مسافة بيننا وبين العقائد الإيمانية الموروثة منذ نعومة أظفارنا (...). بعدئذ يجيء دور التحليل التاريخي والاجتماعي والأنثروبولوجي لإضاءة النص والكشف عن مشروطيته التاريخية" (أركون، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال.. أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، 1995)، ما يجعلها، ووفق هذا التوجه، مبحثا لإستنطاق الحقيقة من وجهة نظر تاريخية، انبثاقها، تطورها ومدى صلوحيتها وهيمنتها، أي كيف انبثقت؟ كيف تطوّرت وتحوّلت؟ وكيف استمرت في تشكيل الوعي؟ ومدى ارتباطها بالسلطة عبر العصور؟ إننا بهذا أمام حفر أركيولوجي "عن معاني الكلمات من أجل التوصل إلى طزاجتها الأولية هو الذي يساعدنا عليه ذلك التمييز بين مصطلحين أساسيين في علم الألسنيات: مصطلح التزامنية اللغوية، ومصطلح التطورية اللغوية" (أركون، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال.. أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، 1995).

تعتبر اللغة إذن، ووفق المقاربة التي تطرحها "الدائرة اللغوية والثقافية" أحد قطبي البنية التفاعلية التي شكلت الفكر الإسلامي؛ إنها تتجاوز البعد التواصلية الناقل للأفكار إلى اعتبارها منظومة دلالية تولد المعنى وترسم خطوط التفكير وأفاقه. "بالمعنى الفلسفي يمكن القول بأن كل لغة، سواء أكانت مجرد لهجة شفوية أم فصحة مكتوبة، تحتوي على ذاكرة حية لتجربة بشرية ذات خصوصية وتعبر عن ذاتها بطريقتها وإيقاعها داخل الدائرة اللغوية

والثقافية الكونية للمزدوجة الثنائية عقل/أسطورة (أو لوغوس/ميتوس)" (أركون، أي فكر عربي حديث نريد؟، 2005). معنى هذا أننا أمام مجموع دوائر لها إيقاعها وفعاليتها بشكل متفاوت في "الدائرة اللغوية والثقافية الإسلامية"، ففي المجتمعات الإسلامية ثقافات وأقوام تختلف لهجاتها وألستها، يختلف حضورها ضمن هذه الدائرة.

وفق هذا الوصف تعتبر اللغة المختبر الذي تتكشف منه خيوط تبلور "الحقيقة"، وهي دراسات، كما يقول "أركون" تعالج "مسألة الحقيقة" (أركون، نحو نقد العقل الإسلامي، 2009)، كما تكشف عن القوى المتضامنة التي تحكم في فرض "حقائق" عن "أخرى". بعبارة أخرى خضعت مجموع الخطابات السائدة والمهيمنة لـ "ألعاب إنتاج المعنى"³، فـ "كل عبارة نلفظها أو كل تحديد لأي شيء هو عبارة عن استحواذ للسلطة على الواقع بالضرورة وعلى استملاك الخطاب الهادف إلى إرادة القوة ولكن المقنعة غالباً والمموهة تحت الغطاء البريء والناعم لإرادة المعرفة: أي معرفة الحقيقة والعيش طبقاً لمبادئها وضرورتها" (أركون، نحو نقد العقل الإسلامي، 2009)، وهذا يعني أن البحث عن "الحقيقة"، وكمرحلة أولى، يجب أن يكون كما هو، أو إن صح التعبير يجب أن يكون كما "جاءت" بإكراهاتها وضرورتها لفهمها من الداخل⁴، إن "الحقيقة" التي يقصدها "أركون" هنا هي "الحقيقة" التي انتجها "العقل الديني" انطلاقاً من ما هو موحى (النص المقدس)، وأصبحت مصدر المعرفة ضمن النطاق العربي الإسلامي، كما أنها جاءت لتتواءم وأحلام شعوبها وتعبّر عن كينونتها⁵، فالحقيقة هنا تقبع "تحت كل أشكال التراث أو يقف وراءها. وهو في الوقت ذاته يمثل نتيجتها أو محصلتها، والحقيقة بالنسبة إلى هذا العقل، هي واحدة لا تتجزأ، ولا يمكن ردها إلى أي شيء آخر أو إلى أية حقيقة أخرى" (شاشو، 2016).

هذا ما كانت عليه "الحقيقة" في الأوطان العربية والإسلامية، على الأقل، في القرون الأولى المشكلة لها؛ انبثقت من دوائر فكرية خلاقة ومبدعة، احترمت النقاش (الجدل) الحر. في هذه المرحلة كانت هذه الدوائر "لا تزال طازجة مترجرة حرة قريبة من

منابيتها، وكانت تسمح بحرية في التفكير والممارسة والخلق والإبداع لم نشهدها من بعد" (أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، 1996)، لتتحول بالتدريج، وبتوجيه من السلطات السياسية المتعاقبة إلى "حقيقة مأسورة" ضمن دوائر تيولوجية تابعة وخادمة، أو بالأحرى ضمن ما يسمى "الأرثوذكسيات الدينية" ذات الطابع التعليمي السكولاستيكي والتلقيني، "فقد أصبحت متخشية إكراهية وقسرية وتوصلت في بعض الأحيان إلى شل حركة الفكر العربي والفكر الإسلامي بشكل تام" (أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، 1996).

4. الثقافة بصوفها متخيلاً وذاكرة وسيادة:

إن اللغة، وكما شرحنا سابقاً، هي الأداة التي تُنتجُ المعنى، وهذا المعنى يحتاج إلى إطار عام يمنحه الشرعية، وهذا الإطار هو الثقافة. هذه الأخيرة، صحيح أنها مجموعة من العادات والتقاليد والأعراف، ولكنها بالمحصلة منظومة رمزية تعبر عن الذاكرة الجماعية للمجتمع وامتداد له، إنها تحكي تجارب إنسانية مرت بها الذات عبر التاريخ، منها يتغذى الوعي الفردي والجماعي؛ كما أنها تؤطر التمثيلات، أي أنها منبع مجموع الصور والأفكار التي يبنها ويحتاجها الفرد حول العالم وحول الوجود الإنساني، إنها تمدّه برؤية للعالم، منها يتحدد ما هو مقبول وما هو مرفوض داخل المجتمع.

يتعلق الأمر هنا، كما يتصوّر أركون، بالمتخيّل l'imaginaire باعتباره وعاءً للأشكال التعبيرية والرمزية، يمدُّ الفرد بالصور والتصورات التي يحتاجها في عملية اكتمال بنائه الروحي والمعنوي، وهذا يعني "أن متخيّل فردٍ ما أو فئة اجتماعية ما أو أمة ما هو مجمل التصوّرات المنقولة بواسطة الثقافة" (أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد)؛ هذا ما جعل منه لاعباً أساسياً في عملية تثبيت القراءات والتأويلات الدينية في الأوساط الفكرية العربية والإسلامية، لتتحول هذه القراءات والتأويلات إلى مسلمات وبدهيّات فوق المساءلة؛ تناقلته الأوساط الشعبية منذ القدم في الخطابات الدينية الوعظية والأشعار والمرويات (القصص) من جيلٍ لجيل⁶، وعبر مؤسسات تعليمية وتربوية اعتمدتها "الرسمية". "وبهذا المعنى يمكن القول، بالطبع، إن لكل فرد ولكل مجتمع متخيّله الخاص المرتبط باللغة المشتركة" (أركون،

الفكر الإسلامي نقد واجتهاد)، والمتخيّل يرتبط بنظرة الذات لنفسها كما يرتبط بنظرة الذات للآخر المختلف عنها.

وعليه، ووفق معادلة متشابكة بين الثقافة واللغة خُلِقَت الأنساق الرمزية عبر التاريخ؛ هي أصل التفكير وحدود إمكاناته، ومنها تؤخذ الشرعية. فاللغة، وانطلاقاً من قدرتها على نقل المقولات والمصطلحات والمفاهيم من حقبة إلى أخرى، أي قدرتها على تثبيت المعنى ضمن نطاق تداولي محدد، والثقافة من خلال مخيالها الجمعي وأدواتها التربوية، من مؤسسات دينية وتعليمية، يصبح هذا "المعنى" ضرورية وجودية تستلزم الاستمرارية. هذا يعني، من جهة أخرى، أن الأنساق الرمزية حتى وإن فرضتها سلطات معينة لتصبح في النهاية سلطة بحد ذاتها، هي في النهاية نتيجة أو محصلة تراكمات وتأويلات تشكلت في سياقات تاريخية محددة، وهو ما يعطيها صفة النسبية، ما يجعل من تفكيكها أمراً ممكناً إذا ما أُريدَ إعادة النظر فيه.

5. من الانغلاق إلى الهيمنة: الأرثوذكسيا واللامفكر فيه:

لعل أخطر ما في "الدائرة اللغوية والثقافية" بعد تشكلها هو رفضها الانفتاح على المتغيرات، خاصة المعرفية منها، التي تصادفها عبر التاريخ؛ فهي بعد تأسيسها لنظامها الدلالي الخاص تتحول إلى إطار واحد ووحيد للتفكير، أي أنها تصبح المرجعية الوحيدة والإطار الشرعي للمعرفة الذي يجب الخوض فيها. "في الواقع-والقول هنا لأركون-إن كل تراث يرسّخ مقولاته وتعاليمه على قاعدة استخدام معيّن ومنظم للعقل" (أركون، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم)، هذا يعني أن كل "دائرة"، وضمن "إطار عقلائي" معين، تحدد "حدود القول"، وما دونه يعتبر "هرطقة" أو "بدعة". مع الوصول إلى هذه النقطة، وفي هذه الحالة، تتحول اللغة، بعدما كانت حقلاً مفتوحاً لتلاقي المعاني وتلاقحها، فاتحة بذلك أبواب التأويل والتأليف؛ والثقافة، بعدما كانت وسطاً دينامياً قابلاً للتحوّل والبناء

والتشديد، إلى سياق يحصر حدود المعرفة وامكاناتها. وكأن قوانين الاجتهاد توقفت في لحظة زمنية معينة، وهذا ما يطلق عليه بـ "الانغلاق".

هذا الانغلاق تتوقف عنده آفاق التفكير، وفي هذا لا نقصد به، وانطلاقاً مما يقوله "أركون" التوقف عن التفكير، ولا عن انتاج المعرفة، بل تعتبر هذه المنظومة المسلك التعبيري الوحيد الذي يجب أن تنبثق منه الحقيقة. وهذا ما تقوله لنا الأرثوذكسيا كـ "مفهوم" وكـ "ممارسة معرفية"؛ ولفهم هذا يأخذنا أركون إلى السياقات التاريخية التي تشكلت فيها "الأرثوذكسيات" في الأديان السماوية بما في ذلك "الدين الإسلامي"، هذه الأخيرة لا تتوقف في حدود وصفها عقيدة دينية صحيحة ومستقيمة، بل هي نظام معرفي وتأويلي قائم بذاته تأسس بتواطئ مرجعيات رمزية معينة وبغطاء وسلطة سياسية، وهو ما ينطبق على ما نسميه "تراث". و"ينطبق ذلك-والقول هنا لأركون-سواء أكان هذا التراث مأخوذاً بالمعنى الإثنولوجي للعادات والتقاليد المحددة محلياً، أم كان مأخوذاً بمعنى التراث الديني الأكثر اتساعاً وقابلية للتعميم الكوني" (أركون، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم)، لتبناه مؤسساتيا مختلف الأجهزة التربوية والدينية في برامجها ومقرراتها، ما يجعله (أي التراث) يمتلك ما يسمى بـ "السيادة العليا الدينية"، والسيادة "تمثل، تعريفاً، الانتساب العفوي لشخص ما إلى جملة من العقائد والرموز، والذي يكرّس نفسه بدوره لخدمة أهداف أولئك الذين يتبعونه" (أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، 1996)، وهي امتداد أو انبثاق للسلطة السياسية، حتى وإن ادعت عكس ذلك. إن الأرثوذكسيا، في التحليل الأركوني، هي لحظة انتصار تأويل معين للنص، تحوّل بفعل المؤسسة والتكرار إلى مرجعية نهائية، ومغلقة بذلك المجال أمام إمكانات أخرى كانت ممكنة في سياقات مختلفة، حيث "يعود هذا التراث في خط الرجعة بدوره لكي يخدم العقل الأرثوذكسي، وذلك عن طريق المحافظة الصارمة على هذه المسلّمات البديهية" (أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، 1996)، وفي هذا تحديد لدائرتي: "المفكر فيه" و"اللا مفكر فيه".

هذا التحديد يضعنا أيضا أمام ضرورة التوجه إلى مفهوم "اللامفكر فيه"، بوصفه أحد أهم المفاهيم التي نحتاج دراستها لفهم حال "الفكر" و"واقع" المجتمعات العربية والإسلامية من "وجهة نظر أركونية". فـ "اللامفكر فيه" لا يعني أن ما لم يفكر فيه كان اعتباريا أو سهواً، إنه يحيلنا إلى أن تحديد هذه الدائرة (نقصد اللامفكر فيه) قد تم وفق رؤية منهجية وضمن دائرة فكرية كان غرضها تحديد ما هو شرعي وما هو غير شرعي. لقد عملت الأرثوذكسيا على عزل واقصاء تيارات فكرية وعقلانية أخرى، بل عملت على منع كل "الدوائر" التي تحاول طرح الأسئلة الأسئلة التي تهدد تماسكها وأسسها التي انبنت، لتصبح سلطة فكرية هي الأخرى. إنها "القوة التي يمتلكها العلماء التقليديون والدول الإسلامية الأيديولوجية لضمان حماية نسخة إسلامية بعيدة البعد ومتعصبة بغاية ابعادها عن كل تحليل فكري وعلمي" (Arkoun, 2002). وفق هذا التصور، ينتقل تأثير "الدوائر المغلقة" من تثبيت المعاني إلى إقصاء أخرى، وهو دور "مضاعف" مارسه "الأرثوذكسيات" إلى يومنا هذا.

هذا "المفهوم" يأخذنا أيضا إلى القول بأن "الهيمنة" لا يمكن تحقيقها عبر السلطة السياسية فقط، بل أيضا عبر بسط السيطرة على الأشكال التعبيرية والمجال الرمزي والدلالي، أي عبر ضبط إطار المعقولية وحدودها الثقافية. فلو تفحصنا مثلا مجموع الأرثوذكسيات في الساحة الفكرية العربية والإسلامية نجدها تجمع بين عدة مفاهيم تعمل بالتوازي، كالحقيقة، والشرعية، والبدعة، والكفر، والعقل، ضمن منظومة تأويلية واحدة، معها يغدو التفكير خارج هذه الأسوار ممنوعا أو مرفوضا. على هذا النحو يتحول الانغلاق إلى هيمنة، بحيث يتحول النسق من كونه بنية ضمن الثقافة، إلى كونه الثقافة في حد ذاتها، ويصبح حينها التفكير خارج هذه الأسوار خروجاً على النظام الرمزي برمته، وأن "الدائرة" مكتملة التفكير، وهي فوق التاريخ؛ ما يعني أننا بهذا أمام فكر "إسلامٍ مُعزَّلٍ عَنْ أَبْسَطِ آلياتِ التَّفْكِيرِ التَّارِيخِيِّ، وَالتَّحْلِيلِ اللُّغَوِيِّ، أَوْ التَّفْكِيرِ الأَنْثُرُوبُولُوجِيِّ" (Arkoun, 2002).

6. آليات النقد والتجاوز.. أو نحو آفاق مختلفة للدائرة اللغوية والثقافية:

لقد سعى "أركون" طيلة أكثر من أربعة عقود إلى إعادة قراءة مجمل النصوص التي أنتجتها "دوائر الفكر" العربية، عبر إخضاعها لمختلف مكتسبات علوم الإنسان والمجتمع، إنه يحاول، عبر هذه العلوم، العودة إلى الجذور والأرضية التي أنبتتها. وهذه النصوص هي نتيجة لاجتهادات (التأويلات) "الذات العارفة الإسلامية" التفت وتراكت عبر الأزمنة، وليست هي "النص المقدس" نفسه الذي يعتبر كـ "حدث" قسم تاريخ المجتمعات العربية الإسلامية، وهذه ملاحظة "ابستمولوجية" يجب الإشارة إليها، وهذه "النصوص" كانت بمثابة الوسط "الروحي" الذي مدّ الإنسان بما يحتاجه من مفاهيم ورؤى، فـ "حتى الأديان نفسها فإنها تندرج داخل الرحم الكونية المؤلدة للأنظمة السيميائية الدلالية التي تتحكم بكيفية تمفصل العلامات والحروف من أجل تشكيل الكلمات والعبارات لكي تعطي للوجود البشري تصورات دالة وأنظمة معنوية" (أركون، أي فكر عربي حديث نريد؟، 2005). فمجموع النصوص التي ورثناها، من وجهة نظر أركونية، ليس خرق بيضاء تجمع بين جنباتها حروف وكلمات، بل هي نبض حياة سطرتها عقول في مرحلة تاريخية وُصِفَتْ بالخلقة.

هذا الطرح يجعلنا أمام إلزامية "النصوص الدينية" لقراءة ابستمولوجية حوارية تجمع بين القراءة التاريخية واللسانية والأنثروبولوجية، لتعريفها والعودة بها إلى سياقاتها المنبثقة منها، إلى طراوتها وطزاجتها الأولى، وتكشف المسافة الفاصلة بين النص بوصفه حدثاً تاريخياً، وبين التأويلات التي تراكت حوله عبر القرون. وفق هذا التوجه المنهجي والنقدي راح "أركون" يعمل على مختلف المواضيع والمواد المعرفية الحية التي يزخر بها العالم الإسلامي، مثل: اللغة، التاريخ، الثقافة، المدونات الفقهية.. إلخ، مستفيداً بذلك من افرازات الساحة الفكرية والفلسفية الغربية، أي أن دراسة النصوص التراثية واستحضارها يستوجب قراءة نقدية مختلفة متشعبة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والفلسفية المعاصرة. "إن تاريخ الفكر والقول هنا لأركون_ يعتمد على "قراءة" النصوص الأدبية منها والنظرية، ومناهج "القراءة" قد تغيرت وتعددت بعد ازدهار البحوث اللسانية والسيميائية في السنين الأخيرة.

أصبحت القراءة علمية معرفية شاملة تجمع بين التحليل اللغوي والتساؤل التاريخي والتدبير الفكري لإستخراج الجدلية الكامنة بين الحقول الثلاثة على الشكل التالي:

اللغة ↔ التاريخ ↔ الفكر ↔ اللغة (أركون، الفكر العربي، 1985)

من جهة أخرى، يعيد هذا الطرح "النقدي" و"الابسيمولوجي" دمج ما تم ابعاده من "دائرة" التفكير، أي استحضار ما هو مهمش، سواء ما تعلق بالتيارات الفكرية المهمشة، والأسئلة المؤجلة، بالإضافة إلى مجموع الأفكار والمقولات التي أُدخِلت في دائرة "اللامفكر" فيه". هذا التوجه الذي تبناه أركون لا يعني العودة إلى الماضي من أجل استحضارها لتبنيها واعطاها تبريرا فكريا يكفلها كما فعلت دوائر الفكر قديما، بل غايته التعريف بها ضمن الإطار الفكري التاريخي الذي تواجدت فيه، وكشف بالمقابل الميكانيزمات الفكرية التي أقصتها، ومن ثم تحرير البحث من الرقابة الضمنية التي فرضتها الأرثوذكسيا. إن "التراث بهذا يتحكم في الكثير من المستويات الفكرية والعملية المحسوسة والملموسة ما يعني تأثيره على الوعي الفردي والجماعي سواء في منحاه الإيجابي أو السلبي، لهذا وجب معالجته بما يخدم حال وتطلعات مجتمعاتنا الآنية والمستقبلية" (شاشو، 2016).

لعلنا هنا مام مستوى أعمق يريده أركون، فتجاوز الأرثوذكسيات يتطلب التحرر من أغلال "الحقيقة المطلقة" المفارقة لشروط إنتاجها. فالحقيقة، من وجهة نظر أركون، لا يجوز أسرها، كما أنها ليست جوهرًا متعالياً خارج التاريخ، بل هي تشكيل وبناء لغوي تاريخي، يتأسس من خلال رموز مرجعية محددة، أي داخل الثقافة، وتنال مشروعيتها من تحالفات وتوازنات السلطة والمعرفة. وهليه، فإن استنطاق الحقيقة لا يعني رفضها أو اقضاءها، بل يعني التعرف والكشف عن تاريخيتها، والإحاطة عليها ضمن سياقاتها، ومن ثم العمل على إعادة بعثها بفهم ورؤية جديدة.

لوصول إلى هذا الهدف يطرح أركون مفهوم "العقل الإستطلاعي المنبثق" (أركون، نحو نقد العقل الإسلامي، 2009)، والذي يعتبر أملا يناقض "الدوائر" (العقل) المنغلق؛ حيث

يسعى من خلال هذا العقل إلى مقارنة التراث لا بوصفه فهذا العقل لا بوصفه معطًى مكتملاً، بل بوصفه حقلاً قابلاً للنقد والمساءلة والبحث. هذا العقل لا يكل عن السؤال، ويعتمد على منهجية تأخذ من كل مكتسبات علوم الإنسان والمجتمع، ساعياً بذلك إلى فتحه على العقلانية بدل الاكتفاء بحراسته. ومن خلال هذا العقل، يتحول التفكير إلى فعل تحريري، يُعيد الاعتبار للبعد التاريخي والإنساني في تشكيل المعنى.

إن تفكير الدائرة اللغوية والثقافية، بهذا المعنى، لا يعني القطيعة مع التراث أو التنكر له، بل يعني تحريره من صلابته المصطنعة، وإعادته إلى حركيته الأصلية بوصفه سيروية من التأويلات المتعددة. إنه انتقال من تراث مؤسس على الإغلاق إلى تراث قابل للحوار، ومن حقيقة مُنجزَة إلى حقيقة في طور التشكّل. وبهذا المعنى، يغدو مشروع أركون دعوة إلى إعادة تأسيس العلاقة بين الذات والتاريخ، بين الإيمان والمعرفة، بين النص والإنسان، ضمن أفق نقدي يتجاوز ثنائية الدفاع والهجوم، وينفتح على إمكانات التفكير المعاصر.

7. خاتمة:

يتبين من خلال هذا التحليل أن مفهوم «الدائرة اللغوية والثقافية» يشكل أداة مركزية في مشروع محمد أركون، إذ يسمح بفهم الكيفية التي تتشكل بها أنماط التفكير والحقيقة داخل أفق رمزي محدد. فهو يكشف أن ما يبدو ثابتاً أو مقدساً ليس سوى نتاج سيرورات لغوية وثقافية تراكمت عبر الزمن، واكتسبت مشروعيتها بفعل التكرار والمأسسة.

غير أن هذا المفهوم، رغم قوته التحليلية، يظل مفتوحاً على تساؤلات تتعلق بمدى قدرته على تجاوز حدود النقد النظري إلى إحداث تحول فعلي في البنية الثقافية والاجتماعية. فهل يكفي تفكير الأنساق الرمزية لإعادة بناء علاقة جديدة بالتراث؟ أم أن الأمر يتطلب تحولات أوسع تمس البنية السياسية والاجتماعية كذلك؟

ومع ذلك، يبقى إسهام أركون في لفت الانتباه إلى دور اللغة والثقافة في إنتاج الحقيقة خطوة حاسمة في مسار التفكير العربي المعاصر، لأنه يحزّر النقاش من ثنائية الدفاع والهجوم على التراث، وينقله إلى مستوى مساءلة الشروط التي جعلت هذا التراث ممكناً ومهيمناً في آن واحد.

8. قائمة المراجع:

• المؤلفات:

- Chachou, M. (2016). Applied Islamic studies in the thought of Muhammad Arkoun. Amman, Jordan: Dār al Ḥāmid lil nashr wa l tawzī'.
- Mohammed Arkoun , M. (2005). What kind of modern Arab thought do we want. في In Introduction to the conference launching the Arab Foundation for Intellectual Modernization, Beirut, Lebanon.
- Arkoun, M. . (1985). Arab thought. Paris, France: Éditions Oueidat.
- Arkoun , M. (2009). Towards a critique of Islamic reason. Lebanon: Dar al Ṭalī'a lil ṭiba'a wa l nashr.
- Arkoun , M. (1998). Issues in the critique of religious reason: How do we understand Islam today. Beirut, Lebanon: Dar al Ṭalī'a lil ṭiba'a wa l nashr.
- Arkoun , M. (1996). Islamic thought: A scientific reading. Beirut, Lebanon: Dar al Inma' al Qawmi.
- Arkoun , M. (1990). Islamic thought: Critique and ijtihad. Algiers, Algeria : Lafoumik.
- Arkoun, • Mohammed. (2002). The Unthought in Contemporary Islamic Thoughtsearch. Beirut, Lebanon: Saqi Books .
- Arkoun , M. (1995). From the separation of unit to the separation of the discourse: Where is contemporary Islamic though. Beirut, Lebanon: Dar al Saqi.
- Arkoun, :Mohammed. (1996). Historicity of Arab Islamic thought. Beirut, Lebanon: iMarkaz al Inma' al Qawmī.
- Mohammed Arkoun .(2002) .The Unthought in contemporary Islamic Thought .Beyrouth ,Liban: Saqi Books.

- محمد أركون. (1985). الفكر العربي. باريس، فرنسا: منشورات عويدات.
- محمد أركون. (1995). من فيصل التفرقة إلى فصل المقال.. أين هو الفكر الإسلامي المعاصر (الإصدار 2). بيروت، لبنان: دار الساقى.
- محمد أركون. (1996). الفكر الإسلامي قراءة علمية (الإصدار 2). بيروت، لبنان: دار الإنماء القومي.
- محمد أركون. (1996). تاريخية الفكر العربي الإسلامي. لبنان: مركز الإنماء القومي.

- محمد أركون. (2005). أي فكر عربي حديث نريد؟ مقدمة ضمن مؤتمر إشهار المؤسسة العربية للتحديث الفكري (الصفحات 9-15). سوريا: دار بترا للنشر والتوزيع.
 - محمد أركون. (2009). نحو نقد العقل الإسلامي. لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.
 - محمد أركون. (بلا تاريخ). الفكر الإسلامي نقد واجتهاد. الجزائر: لافوميك.
 - محمد أركون. (بلا تاريخ). قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم. بيروت، لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.
 - محمد شاشو. (2016). الإسلاميات التطبيقية في فكر محمد أركون (الإصدار 1). عمان، الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع.
6. ملاحق:

¹ يقصد أركون بالفعاليات الخلاقة مجموع الملكات التي يحوزها الإنسان، وهي: العقل، الخيال (يتجسد في المخيلة والمخيل)، والذاكرة الفردية والجماعية التي تتفاعل وتتداخل ضمن دائرتها الثقافية التي تنتمي إليها، لتعطي لهذا الإنسان مجموع التصورات والمفاهيم التي يحتاجها في عالمه الموضوعي الذي يحيا فيه.

² يستعين أركون بالفلسفة الغربية المعاصرة في مقارنته للغة، هذا المبحث شهد تطوراً ملحوظاً منذ الفترة الحديثة، خاصة مع تطوّر العلوم الإمبريقية والدقيقة وتوجه الفاعلين في علوم الإنسان والمجتمع، وفي الفلسفة تحديداً، نحو تطبيق منهجها ذو الخصوصية "الصارمة" و"الدقيقة"، والذي يطلق عليه عادة بـ المنعطف اللغوي"، وهو ما ترجمته أعمال الوضعية المنطقية ممثلة في المدرسة التحليلية؛ ليتطوّر الأمر أكثر مع المدرسة الألمانية من جهة، والتي حوّلت اهتماماتها إلى اللغة بدءاً من نيتشه الذي يتبنّى البعد المجازي في قراءته للنصوص التراثية، ما فتح أمامها آفاقاً تأويلية مختلفة تتماشى وتحولات الوعي الديني والثقافي الذي شهدته الفترة الحديثة، ثم مع شلايماخر، مروا بدلتاي، وصولاً إلى غادامير ضمن ما يسمى بالتيار الهرمينوطيقي (التأويلي)، والتي جعل من الفهم محور العملية التأويلية، حيث اعتبر الفهم عملية تاريخية تراكمية تتماشى وخصوصية كل ثقافة، وهو يتيح للقارئ الناقد إمكانية إنتاج نص ومعنى جديد، هذا دون أن ننسى أثر كل من الفلسفة الوجودية لـ "هيدغر" ومن بعده فلسفة الأشكال الرمزية لـ "أرنست كاسيرر"؛ من جهة أخرى كان للمدرسة الفلسفية الفرنسية ممثلة في مدرسة الحوليات أثرها البالغ في فلسفة "أركون" للغة، والتي دفعته إلى مقارنة النصوص الدينية والتراثية من وجهة نظر نفسية واجتماعية وتاريخية تتجاوز الإطار الذي وضعته المقاربات الوضعية (أنظر إلى دراسات المستشرقين)، يضاف

إليها كل من أعمال "جاك دريدا" ومنهجه التفكيكي، وأعمال "ميشال فوكو ومنهجه الأركيولوجي ونظريته "للإبستمي". بالمختصر يُدمجُ "أركون" كل علوم الإنسان والمجتمع لقراءة "التراث" من الداخل والخارج، ومن وجهة نظر "أنسية".

³ نشبه هنا عملية إنتاج المعنى، من خلال اللغة، كما يطرحها "أركون" بـ "اللعبة" أو بـ "الألعاب"، هذه الأخيرة لها قواعدها ولكل لاعب فيها دور محدد، واللاعبون هم: الفكر، اللغة، السلطة، التاريخ. اللغة لها بنيتها وقواعدها ودلالاتها الخاصة، والفكر (العقل) يعمل على تحريك مختلف اللاعبين بخطة وأسلوب معين، والسلطة هي من يحدد من يلعب، أما التاريخ فهو الملعب أو اللوحة التي تلعب عليها الألعاب.

⁴ بالنسبة لأركون ليس كل ما أنتج من حقائق كان مفروضا تحت الإكراه، فهناك العديد من الخطابات كانت تبحث عن الحقيقة بعيدا عن هواجس إكراهات السلطة.

⁵ هذا لا يعني وجود حقائق من دوائر أخرى، لكن هذه الحقائق هُمِشَتْ وأُصِيت بالتدرج من الساحة الفكرية العربية الإسلامية، ولم تبقى (تنتصر) إلا الحقائق التي انتجها "العقل الديني".

⁶ في عصرنا هذا تغيرت الأدوات التي يعتمد عليها الإنسان لتعميم ثقافة ما، لقد أصبح التعميم بواسطة تكنولوجيات الاعلام والاتصال، وعبر وسائل الإعلام بمختلف مستوياتها (تلفزيون، راديو... إلخ)، بالإضافة إلى المجتمع المدني والمؤسسات التابعة للرسمية (المدرسة، الجامعات، المعاهد، الأحزاب، الجمعيات... إلخ).